المحاضرة الخامسة

حضارة بلاد الرافدين:

ثانيا: المراحل التاريخية الكبرى لتاريخ بلاد الرافدين

(سومر،اكاد،بابل،آشور،الدولةالكلدانية)

1-الحضارة السومرية (2600-2350 ق.م):

السومريون من أوائل الشعوب التي سكنت بلاد ما بين النهرين، ويرجع بدء ظهورهم إلى حوالي عام 4000 ق.م، وأُطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى منطقة "سومر" التي استقروا فيها، وتقع لمسافة نحو 350 كم ما بين مدينة بغداد وموقع مدينتي "أور" و"أريدو" بالقرب من شط العرب.

ويُعتقد أن السومريين ليسوا من الجنس السامي الذي عمّر بقية أراضي ما بين النهرين، وأنهم وفدوا إلى جنوب بلاد الرافدين إما من إيران، أو من الغرب في شمال افريقيا عبر فلسطين وسوريا، أو من القوقاز وأرمينيا في الشمال.

-المدن السومرية المستقلة والصراع فيما بينها خلال عصرها الأول (2600-2350 ق.م):

تبلور اقدم مجتمع متحضر في بلاد الرافدين في خلايا منفصلة في عدد من المدن المتمايزة التي كانت تتمتع باستقلال اتي، وتشكل وحدات سياسية مستقلة، وحول كل مدينة مساحة من الأراضي تؤمّن لها احتياجاتها.

ومعظم هذه المدن كانت تقع على ضفتي نهر الفرات وروافده، خلال النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد. وأقدم المدن المستقلة في بلاد النهرين: **أريدو** في الجنوب، **كيش، أوروك، أور، لاجاش، أومّا ايسين، نيبور، شوروبّاك، أرب، بسميّا.**

2-الحضارة الأكادية (2350-2150 ق.م):

كانت تعيش في المناطق المجاورة لبلاد السومريين جماعات بشرية متفرقة شكت بؤر توتر واضطرابات زعزعت استقرار المدن السومرية. وفي مقدمة هذه الجماعات البشرية: **الأكاديون** الذين استقروا في مدينة أكاد، وتقع على ضفة نهر الفرات، وعلى بعد 200 ميل إلى الشمال الغربي من المدن السومرية، وهؤلاء كانوا يتهيأون لتسلم السلطة في بلاد الرافدين.

و يُنسب الأكاديون في أصولهم إلى الجماعات السامية التي نزحت من الجزيرة العربية إلى الشام في حوالي عام 3000 ق.م. وكان الأكاديون قد اضطروا للخضوع لحكم السومريين في الجنوب لمدة طويلة، وذلك على إثر الحملات العسكرية العديدة التي جردها الملك السومريون ضد مدين كيش ومنطقتها لإخضاعها ولإخماد أي حركة مناوئة يقوم بها الأكاديون ضدهم

وتمكنت أخيرا جماعة الأكاديين من تحقيق أهدافها وانتزعت زمام القيادة من أيدي السومريين بزعامة "**سرجون**" ذو الشخصية الفذة (2350-2294 ق.م). فقد خضعت لـ "سرجون" كافة المدن السومرية والمنطق

الشمالية، وأصبح السيد المطلق في البلاد، ونجح في إنشاء دولة موحدة ضمت جميع المدن المستقلة، واطلق على نفسه لقب " ملك انحاء العالم الأربعة"

غارات الجويتيين وانهيار الامبراطورية الأكادية:

الجويتيون من الجماعات البشرية التي وفدت إلى بلاد النهرين، قادمة من المناطق الجبلية الشمالية، والشمالية الشرقية، واستقروا في أراضي "الديالي" أحد روافد نهر دجلة، حيث استغلت قبائل الجويتيين هذه ضعف الامبراطورية الأكادية على إثر ضعف الملوك الذين خلفوا "سرجون الأكادي" بعد وفاته، وانقضت على السهول الخصبة في وسط وجنوب بلاد الرافدين في طريقها إلى العاصمة أكاد، وقضوا بذلك على حكم الامبراطورية الأكادية في سنة 2150 ق. م.

-حكم الجويتيين (2150-2050 ق.م):

بعد أن استقرت الأمور للغزاة الجويتيين، عادوا إلى طنهم بالشمال الشرقي واكتفوا بفرض الجزية على سكن المدن السومرية.

-عصر النهضة السومرية (2050-1950 ق.م):

تزعمت مدينة **أوروك** حركة مقاومة الجويتيين منذ سنة 2050 ق.م بقيادة أميرها "**أوتوشيجال**" مؤسس أسرة الوركاء الخامسة، وقد سارع عدد من أمراء المدن السومرية الجنوبية إلى الانضمام اليه، وانتصروا على الجويتيين.

وفي ذلك الوقت تأسست في مدينة **أور** الأسرة الحاكمة الثالثة بزعامة "**أورنامو**" (2059-2041 ق.م) حيث انقلب هذا لأخير على مدينة أوروك وملكها "**أوتوشيجال**" ، انتصر عليه، وأخضع بعد ذلك باقي المدن السومرية والأكادية، وتولى قيادة البلاد وأصبحت "أور" عاصمة البلاد.

-تفكك الدولة السومرية ونهاية حكم سلالة أور الثالثة:

في سنة 1950 ق.م هاجم العيلاميون بلاد الرافدين، حيث كان ذلك نهاية حكم سلالة "أور" الثالثة التي استمرت نحو 100 عام. ويعتبر هذا السقوط النهاية السياسية للسومريين كشعب حاكم في التاريخ.

-التنافس بين العموريين والعلاميين:

بعد زوال عهد أسرة "أور" الثالثة، اندمج السومريون بالعناصر السامية من العموريين والأكاديين، ونشب بين هؤلاء وبين جماعات العيلاميين صراع طويل من أجل السيطرة على أرجاء بلاد الرافدين. وفي هذه الفترة تأسست مملكتان مستقلتان في الجنوب في مدينتي "**أيسين**" و"**لارسا**"، وتنازعتا فيما بينهما على حكم بلاد سومر وأكاد، وتأسست سلالة حاكمة من العموريين في مدينة بابل، وأخذت تتوسع باتجاه الجنوب. كما تأسست مملكتان مستقلتان في الشمال في مدينتي "**اشور**" و"**أشنونا**"وتنازعتا حول السيطرة على الطرق التجارية الكبيرة التي كانت تمتد في الجزء الأعلى من وادي الرافدين.

3-الحضارة البابلية (الدولة البابلية الأولى) (1830-1530 ق.م):

-نشأة مملكة بابل:

أسس هذه الدولة "**سومو أبوم**" (1830–1817 ق.م) الذي كان يحكم منطقة صغيرة في جنوب بلاد الرافدين، ثم أخذ يوسع رقعة دولته بالتغلب على أمراء المدن الجنوبية، وأعلن نفسه ملكا على بابل، واستمر في حكم الدولة البابلية الأولى حوالي 300 سنة، توالى على الحكم خلالها 11 ملكا.

-حامورابي (1728–1686 ق.م):

بعد وفاة الملك البابلي "**سن –موبليط**" (1748–1729 ق.م) تولى ابنه حامورابي الحكم، وكان شابا صغيرا، دام حكمه 42 عاما.

ويعتبر حامورابي من أعظم ملوك بلاد الرافدين، حيث كان يجمع بين صفات القائد العسكري الماهر والسياسي المحنك، والملك العادل، والمشرّع المصلح والحازم. ويعتبر عهده العصر الذهبي لبلاد ما بين النهرين لما كان ينعم به سكانه من الرخاء أثناء فترة حكمه.

-اصلاحات حامورابي الداخلية:

اهتم حامورابي بالمشاريع الاقتصادية، ومنها تطهير قنوات الري اللازمة للزراعة، والتي جفت أو رُدمت بتأثير الحروب المدمرة لتي شهدتها البلاد، كما شق عددا من القنوات.

-قانونحامورابي:

يعتبر أهم وثيقة اجتماعية واقتصادية وتاريخية من عصر المملكة البابلية، ومن أكثر الوثائق أهمية من فترة الألف الثانية قبل الميلاد، حيث يعتبر قانون حامورابي أهم الاصلاحات التي قام بها.

يتضمن هذا القانون تنظيما موحدا كافة العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في بلاد ما بين النهرين. وقد أمر حامورابي بتدوين قراراته وأحكامه الملكية في أواخر عهده، على مسلات وضعت في المعابد لتكون شاهدا على أنه "قد ارسى دعائم العدل في البلاد" وقام بوظيفته "كملك عادل". وقد كتبت وثيقة القانون بلغة بابلية خالصة، وتتكون من ثلاثة أجزاء:

المقدمة: وتخص الأعمال الدينية التي قام بها حامورابي

المتن (صلب القانون): يتكون من 282 فقرة، تتناول نصوصها معالجة مختلف الجرائم والقضايا المتعلقة بالتجارة والأعمال الأخرى، وكذا قضايا الزواج، العائلة، الملكية، ايجار المساكن والأراضي وأجور وواجبات الحرفيين. والملاحظ على هذه النصوص أن معظم الأحكام كانت تأخذ بمبدأ "العين بالعين والسن بالسن".

الخاتمة: ينتهي قانون حامورابي بخاتمة طويلة يبتهل فيها إلى الآلهة بإنزال غضبها على كل من يشوّه او يحرّف القوانين العادلة التي وضعها، كما يدعو الملك الذي سوف يخلفه أن يحفظ كلمات العدالة التي سجلها، وان يعمل بكلماته إذا رغب في حكم بلاده بالعدل.

مملكة بلاد البحر:

لم تلبث أن تعرضت الدولة البابلية لضغوط خارجية من عدة جهات، ففي الأجزاء المتاخمة لـ عيلام اندلعت الثورة التي قادها أحد الثوار في جهة الشمال، ويدعى "ريم–سن". وبالرغم من فشل ثورته، فقد شجع ذلك

بعض امراء المدن السومرية للثورة ضد الملك البابلي، وكان في مقدمتهم "**إيلومو- إيلو**"، ويُحتمل أن يكون من آخر سلالة ملوك "**أيسين**"، وأعلن استقلاله عن الدولة البابلية، وحقق بعض النجاح في مخططه الانفصالي، وأصبح سيدا على المنطقة الواقعة في جنوب ينبور وأسس مملكة جديدة فيها باسم "**مملكة بلاد البحر**"، وتعرف أيضا باسم "**مملكة بابل الثانية**".

-سقوط الدولة البابلية الأولى على أيدي الحيثيين:

في عهد الملك "سمسو-ديتانا" (1561-1530 ق.م) أصبحت أوضاع الدولة البابلية الأولى الداخلية مضطربة وقلقة، وأخذت أكثر المدن تنفصل من جديد عن العاصمة بابل، وفي ذلك الوقت شرعت مملكة الحيثيين التي تأسست في الأناضول في التوسع جنوبا حيث الأراضي الخصبة، وتم ذلك في عام 1530 ق.م. ولم تكن الحملة الحيثية على مدينة بابل سوى غارة عنيفة عليها انتهت بتدميرها ونهب كنوزها ثم نقلها إلى العاصمة الحيثية.

-قيام الدولة الكاشية: (أو مملكة بابل الثالثة) 1595-1162 ق.م:

أ-أصل الكاشيين: هم من الجماعات لجبلية التي سكنت في غرب ايران منذ زمن بعيد، واستوطنوا أولا في الجزء الأوسط من جبال زاغروس في جنوب همذان، ويسمى الآن "لورستان". وعلى العكس من جيرانهم الشماليين مثل الجويتيين، لم ينهض الكاشيون بأي دور في التاريخ السياسي للشرق الأدنى القديم خلال الألف الثانية قبل الميلاد. وكان بدء تحركاتهم خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد، قبل عهد الملك البابلي "سمسو-ايلونا"، وظهرت طلائعهم الأولى في أراضي سومر وأكاد.

ب-قيام دولتهم: على إثر انسحاب الحيثيين من مدينة بابل ومقتل آخر ملوكها "شمشو-ديتانا"، حانت الفرصة لكي يتسلم الكاشيون السلطة في بابل، وعلى إثر ذلك أقام الكاشيون مملكة قوية عرفت باسم الدولة الكاشية أو "مملكة بابل الثالثة".

ج-العلاقات مع الآشوريين وبدء انهيار الدولة الكاشية: كانت العلاقات متوترة باستمرار بين الملوك الكاشيين والآشوريين، وعجزوا عن اخضاع الشعب لآشوري لذي كان يرفض الاعتراف بالسلطة الكاشية.

وقد كان الملوك الآشريون لا يكفون عن التدخل في الشؤون الداخلية للمملكة الكاشية انتهت بتوجه الملك الآشوري " توكولتي-نينورتا" الأول (1243-1207 ق.م) نحو الجنوب أثناء زحفه التوسعي وهاجم المملكة الكاشية، واقتحم أسوار مدينة بابل، ونهب معابدها ودمرها، وكان ذلك بدء نهاية الدولة الكاشية.

أما سقوط الدولة الكاشية فكان سنة 1162 ق.م على يد املك العيلامي "شيلاك- أنشو شناك" الذي هاجم بابل وأطاح بآخر ملوكها "انليل-نادين-اده".

4-الدولة الآشورية (1530-612 ق.م):

أ-أصل الآشوريين وموطنهم الأصلي:

الآشوريون من الساميين الذين استوطنوا في شمال شرق بلاد النهرين، في حوض نهر دجلة منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، وينسبون إلى مدينة آشور التي تقع في منطقة استراتيجية، حيث كانت تتحكم في الطرق التجارية الممتدة بين بلاد سومر وأكاد من جهة كردستان وشمال ارض الجزيرة من جهة اخرى.

ب-أقسام تاريخ الآشوريين: يمكن تقسيم تاريخ الآشوريين إلى ثلاث مراحل هي:

1-مرحلة التكوين (العهد الآشوري القديم): وتبدأ من حوالي سنة 2100-1530 ق.م منذ بدء نهوضهم سياسيا وتعرضهم لتقلبا عيدة، حتى نهاية حكم الدولة البابلية الأولى.

2-عصر الدولة الآشورية (العهد لآشوري الوسيط): يبدأ من عام 1530 ق.م عند تخلصهم من حكم الدولة البابلية الأولى إلى عم 900 ق.م.

3-عصر الامبراطورية (العهد الآشوري الحديث): وينقسم بدوره إلى قسمين:

أ-الامبراطورية الآشورية الأولى، وتشمل الفترة من عام 911-745 ق.م تقريبا

ب- الامبراطورية الآشورية الثانية، وتمتد من سنة 745- 612 ق.م

ج-سقوط الدولة الآشورية:

تكونت في بابل أسرة حاكمة جديدة، انفصلت عن الدولة الآشورية تحن اسم "المملكة الكلدانية". وفي نفس الوقت نجد أن "كي اخسار" (Cyaxares) ملك الميديين بعد أن استولى على شمال ايران وشمال بلاد الرافدين، قد توغل في سهول آشور واشتبك مع الجيش الآشوري في حروب طاحنة.

وأخيرا اتفق الملك الميدي مع ملك بابل على مهاجمة العاصمة الآشورية "نينوى" حتى سقطت سنة 612 ق.م بعد حصار طويل. وبعد ذلك اقتسم الميديون والبابليون أملاك الدولة الاشورية، فاستولى الميديون على أجزائها الشمالية الشرقية، واستولى البابليون على أجزائها الجنوبية.

5-المملكة الكلدانية (الدولة البابلية الرابعة): (625-539 ق.م)

أ-موطنهم الأصلي: ينتسب الكلدانيون إلى قبيلة "كلدى" الآرامية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية حوالي عام 1500 ق.م واستقروا في سوريا. وفي حوالي عام 700 ق.م نزحوا إلى جنوب بلاد الرافدين ثم اتجهوا شمالا ونزلوا بالقرب من مدينة بابل التي كانت تخضع في ذلك لوقت إلى الآشوريين.

ب-قيام دولتهم (العهد البابلي الأخير): استغل الكلدانيون الاضطرابات الأخيرة التي اندلعت في الجنوب مع تدهور الدولة الآشورية، وبدأوا كفاحهم من أجل الحصول علىاستقلالهم، ونجحوا في ذلك ، حيث أسسوا الأسرة الـ11 البابلية التي تعرف باسم " العهد البابلي الأخير" أو "المملكة الكلدانية".

ج-نبوخذ نصر (بختنصر الثاني):

تولى "نبوخذ نصر" العرش بعد وفاة والده، ويعتبر من أشهر ملوك الدولة الكلدانية ، وكان يتميز بكفاءته العسكرية والادارية، وفي عهده اتسعت حدود الدولة وامتدت من الخليج العربي إلى الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وصار لها امبراطورية واسعة ضمت سوريا وفلسطين.

وقد أرسل "نبوخذ نصر" جيشا لتأديب مملكة يهودا، واحتل بيت المقدس سنة 595 ق.م، ولكن اليهود ثاروا ضده بعد مضي 10 سنوات (585 ق. م)، فسار اليهم على رأس جيش ودخل بيت المقدس وخربها وفتك بأهلها، كما دمر هيكل سليمان في القدس، ونقل كثيرا من الأسرى اليهود إلى العاصمة بابل.

ومع استقرار أحوال البلاد، وجه "نبوخذ نصر" جهوده نحو العمران، فشيد الكثير من العمائر ورمم المعابد، وأنشأ الحدائق المعلقة لتزيين بابل، والتي تعتبر احدى عجائب الدنيا السبع. وقد استمر حكمه نحو 43 سنة.

د-انهيار الدولة الكلدانية:

بعد وفاة "نبوخذ نصر"، تولى العرش في بابل ملوك ضعاف لم يهتموا بشؤون الامبراطورية، آلت في الأخير إلى قيام ملك الفرس "كورش" بمهاجمة العاصمة "بابل" واستولى عليها في سنة 539 ق.م، وقضى بذلك على الدولة الكلدانية.